**الدرس الثامن**:أطروحات العولمة الثقافية: "رؤية بريجنسكي للمستقبل العربي".

ولد زبينني بريجنسكي" عام 1928. وفى عام 1981 أنهى "بريجنسكي" -وعمره 53 عاما عمله كمسؤول حكومي، في الوقت الذي بدأ فيه مبارك ممارسة مهامه الرئاسية.

يقول محمد المنشاوي: "جمعني الأسبوع الماضي لقاء مع "بريجنسكى"، وهو لم يعد مسؤولا أمريكيا سابقا رفيعا فقط، بل هو مفكر استراتيجي من طراز فريد، ويعمل حاليا مستشارا في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن، وأستاذا للسياسة الخارجية الأمريكية في جامعة جون هوبكنز المرموقة، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة "هارفارد" عام 1953.

خلال عمله بين عامي 1977ــ 1981 مع الرئيس "جيمي كارتر" كمستشار للأمن القومي، وساهم في صنع السياسة الأمريكية تجاه قضايا عالمية مهمة، وقضايا شرق أوسطية مصيرية ما زالت تؤثر على حياتنا اليومية حتى الآن.

قبل اللقاء توقعت أن يكون الرجل البالغ من العمر 84 عاما بعيدا عن أحداث اليوم، وتوقعته منفصلا عما وصل إليه العالم من حراك وديناميكيات متجددة بسبب ثورة الشبكات الاجتماعية التكنولوجية، وتوقعته قادما من جيل قديم لا يعي معنى ثورات الشعوب العربية الجارية الآن. إلا أن الرجل أثبت خطأ توقعاتي كلها، وكان حاضرا وقارئا مطلعا بصورة يندر أن نراها مع من هم في سبعينيات وثمانينيات العمر في منطقتنا العربية.

وخلال سنوات عمله كمسئول أمريكي مهم، امتلأ سجل "بريجنسكى" بالعديد من الإنجازات وتعرض للقليل من الإخفاقات. أشرف بنفسه على تفاصيل مفاوضات معاهدة تخفيض الأسلحة النووية مع الاتحاد السوفيتي المعروفة باسم "سولت 2"، وقام بجهود غير عادية لتطبيع العلاقات الصينية الأمريكية، إلا أن أهم بصماته بقيت في مجال سياسات الشرق الأوسط. وكان بريجنسكى أحد أهم مهندسي تحالف واشنطن مع المجاهدين الأفغان من أجل دفع الاتحاد السوفيتي للانسحاب من أفغانستان. كما خطط لتوصيل أسلحة مصرية وسعودية وباكستانية، إضافة لمقاتلين عرب، لداخل أفغانستان من أجل هزيمة الجيش السوفيتي وإذلاله، وله صورة شهيرة مع قادة المجاهدين حيث وصفهم بأنهم مقاتلون من أجل الحرية من فوق دبابة سوفيتية. لذا لم تكن مفاجأة أن ينال قسطا كبيرا من اللوم عندما وقعت هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة بأيدي جماعات ساهم "برجينسكي" شخصيا في رعايتها وتمويلها وتسليحها يوما ما.

ومن أهم إخفاقات فترة خدمته في البيت الأبيض كان حدوث ونجاح الثورة الإيرانية، وكان التوصل لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية هو الحدث الأكثر بريقا في سيرته الذاتية.

وعلى العكس من رجال السياسة في مصر، اختار "بريجنسكى" أن ينهى العمل العام ويتوقف عن السعي لتقلد المناصب الحكومية وعمره 53 عاما فقط، ولم يكن معنى ذلك انتهاء عطائه للسياسة الأمريكية. فقد منحته حرية البعد عن المناصب الرسمية أن يعرض لأفكاره وتساؤلاته بصورة نقدية موضوعية بما يصب في خدمة المصالح الأمريكية العليا

حذر "بريجنسكى" الرئيس السابق "جورج بوش" الابن صراحة من غزو العراق. وذكر أن الانطباع الذي ساد العالم في مرحلة التسعينيات بالتفوق العسكري الأمريكي بعد الانتصار في الحرب الباردة سيبدأ في التحطم على صخور الفشل في العراق. ويرى أن اكتمال التراجع الأمريكي بدأ فعليا مع حدوث الأزمة الاقتصادية العالمية عام 2008. أما عن انتقال مركز الثقل الدولي من الغرب إلى الشرق فيراه بريجنسكى واقعا لا محالة. إلا أنه يرى أن ثقة الصينيين بأنفسهم وقدراتهم في غير محلها، فهو يعتقد أن الصين غير مستعدة ولن تكون جاهزة قريبا لتبوُّء مسئوليات القوى العالمية الكبرى، ويرى أنه ما زال هناك الكثير أمام الصين لكي تتعامل وتبدو كقوة عالمية كبرى. وأشار «بريجنسكى" إلى ما ذكره له زعيم صيني قابله مؤخرا: «لا تنحدروا بسرعة كبيرة، فهذا ليس شيئا جيدا للصين الآن.

وانتقد "بريجنسكى" بصورة حادة استمرار جهل الشعب الأمريكي بقضايا السياسة الخارجية. وأستشهد على ذلك بمثالين الأول هو اضمحلال تناول القضايا الخارجية في مناظرات مرشحي الرئاسة من الحزب الجمهوري. وصنف المرشحين لنوعين، إما مجانين يجهلون هذه القضايا، أو أنهم يقولوا ما يريد الناخب الجمهوري أن يسمعه فقط. والمثال الثاني يتعلق بوجود أكثر من نصف سكان بعض الولايات يعتقدون أن الرئيس باراك أوباما مسلم الديانة، ويرى أنهم فقط يخجلون من وصفه بأنه رئيس أسود، لذا فيوصف بما بات مقبولا للأسف! ويؤكد بريجنسكى أن هذا الجهل يهدد القوة الأمريكية.

ورغم إعجابه بالرئيس "أوباما"، فإنه انتقده إذ يراه لم يعط قضايا السياسة الخارجية حقها من الاهتمام. واستشهد على ذلك بأن أوباما ألقى أربع خطب رئيسية عن السياسة الدولية لم يكن أي منها داخل الولايات المتحدة بل كانت في إسطنبول والقاهرة وبراج وبرلين.

ويعارض بريجنسكى بشدة أي خطط لضرب إيران. ويرى أن مثل هذه الحرب ستشعل الشرق الأوسط بأعمال عنف وحروب من البحر المتوسط إلى أفغانستان وباكستان.

ومنذ تخليه عن المناصب، أصدر بريجنسكى عشرة كتب كان آخرها منذ شهرين بعنوان «رؤية استراتيجية ــ أمريكا وأزمة القوة العالمية» تناول فيه دور أمريكا الأساسي في تحقيق التوازن العالمي، كما قدم أيضا نظرة استراتيجية بعيدة المدى للنظام العالمي وتصاعد النفوذ الصيني فيه.

وعندما سألته عن مصر وفوز القوى الإسلامية وتوقعاته لمستقبل العلاقات المصرية الأمريكية، رد حازما بأنه ليس هناك ما نستند إليه في طبيعة تعامل واشنطن المستقبلي مع مصر الإسلامية. واشنطن لها علاقات متنوعة مع النظم الإسلامية، فهناك تحالف مستقر مع الحكومة السعودية الوهابية، ولنا عداء كبير مع نظام الملال الإيراني، والدولتان من أهم النظم الإسلامية في العالم. لذا فهو يرى أن العلاقات مع مصر لا يمكن التنبؤ بها، إلا أنه يبدو مشجعا للانفتاح الأمريكي على جماعة الإخوان المسلمين.

لو صمم "بريجنسكى" أن يستمر في تبوُّء المناصب الحكومية لكثرت إخفاقاته، لفقد مصداقيته، ولم يكن ليجذب الكثيرين حول العالم للاستماع له حين يتكلم. يقدم بريجنسكى درسا عمليا قيما للساسة المصريين ممن يبتغون من الرئاسة منصبا وهم في سبعينات العمر. يمكنكم العطاء للأجيال القادمة ولمصر إن أردتم على أصعدة عديدة لا ترتبط بمناصب حكومية. الزمان ليس زمانكم، ولتتذكروا أن قادة بريطانيا وأمريكا لم يبلغوا الخمسين من العمر".

المراجع:

ينظر: محمد المنشاوي: ساعة ونصف مع بريجينسكي. نشر في: الأحد 25 مارس 2012 -